عودة الذين هاجروا من بعيد

كان يحيى كمال ـ الشاعر المعروف ـ يسكنُ في الجزيرة الكبيرة، وفي أحد الأعياد نوى الذهابَ لأداءِ صلاة العيد، ومنذ اللحظة التي قرَّر فيها الذهابَ اعترتْهُ مشاعرُ غريبةٌ.

أتُراه يستطيعُ أنْ يستيقظَ للصلاة في الصباح الباكر، وهو الذي كان يحيا حياتَهُ كأيِّ شخصٍ متفرنجٍ، ويسهر لساعاتٍ متأخرةٍ من الليل؟

عندما رآه المصلون في الجامع دُهِشُوا وقالوا له:

ـ هنا مكانُ اجتماعِ المسلمين فقط!

وقد ظنُّوا أنَّه أحدُ الأشخاصِ الأجانبِ وأنَّه ليس مسلماً.

امتلأ قلبُهُ حزناً عندما سمع هذه العبارة، وخرج من الجامع وجلس بين اثنين من الحمَّالين، والموجودين في

الجامع ينظرون إليه، وكان هو أيضاً في الوقت نفسه يحاول اختلاسَ النظر إلى داخلِ الجامع.

وعندما سمع اسمَ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الخطبة والصلاة، امتلأتْ عيناه بالدموع وكان قد تشرَّب حبَّه من أمِّه منذ طفولتِهِ، وأحسَّ أنَّه بجسدِهِ وروحِهِ أحدُ هؤلاء المصلين.

وعند خروجِ المصلِّين من الجامع، اقتربَ منه السيد رشيد عاكف باشا، وعندها أدرك أنَّه أحسَّ بالسعادة مرتين هذا اليوم، قائلاً له:

ـ الحمد لك يا رب؛ لقد جعلتني أعيشُ حتى أرى أحداً منهم في الجامع، كنْ أحدَ المحظوظين في الانضمامِ إلى المصلين.

كان يحيى كمال يسكنُ في منطقةٍ لا تعرف الأذان، وها هو يتحدَّث في كتاباتِهِ عنهم:

«منذ طفولتي.. وأنا لم أبتعدْ عن طريقِ الدِّين، وحتى إخوتِي كانوا مثلِي، ولكنْ هؤلاء الآن لا يصدِّقون

رجوعَنَا، وعند عودتِنَا لم يتعرَّفوا علينا لأوَّل وهلة.. لأنَّنا انتقلنَا من هذه المنطقةِ منذ زمنٍ بعيد.

لقد كبرنا مع صوتِ الأذان يملأُ المكان من أعلى المآذن، ولكننا منذ زمنٍ بعيدٍ انتقلْنَا لنعيشَ في مكانٍ آخر، وذات يومٍ سنستطيعُ العودةَ إلى الوطنِ الأم وإلى صلاة الصبح، نتمنى من الله أن لا ينسى شبابُنَا العودةَ إلى الوطن الأم.. وأن يبقَوا ذاكرين ذلك.

ونتمنى أنْ يعودَ كلُّ الشباب الذين وُلِدُوا في أماكنَ لم يسمعوا فيها الأذان، ولم يرَوا آباءَهم واجدادَهم؛ أنْ يعودوا إلى بلادِهِم وحضارتِهِم ومنازلِهِم».

ولو رأى شاعرُنا العظيم هذا اليومَ لسُرَّ سروراً شديداً.